سلسلة أروع القصص من أحاديث النبي ﷺ

الغلام المسلم



الكاتب: شادي فقيه

إخراج: مركز دار العلم للدراسات

رسوم: فؤاد ميران

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

بدأَ الليلُ يفرشُ ظلمتَه شيئاً فشيئاً على المدينةِ، وفي هذه الأثناءِ كان إبراهيمُ فاطمةُ يستعدّان للجلسةِ المسائيةِ.

إبراهيم: السلامُ عليكم يا أبي.

فاطمة: مسّاكَ اللهُ بالخيرِ يا أبي.

الأب: مسّاكَ اللهُ بالخيرِ يا إبراهيمُ، وعليكم السلامُ ورحمةُ اللهِ يا فاطمةُ.

فاطمة: ماذا ستخبرُنا اليومَ يا أبي؟

إبراهيم: لقد اشتقْنا إلى أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ.



الأب: القصةُ هذه الليلةَ جميلةٌ جداً، وسوفَ تكونُ عبرةً لكم، وهي قصةُ الغلامِ المؤمنِ التي رواها النبيُّ ﷺ للمسلمين الأوائل.

كانَ في قديمِ الزمانِ ملكٌ جبارٌ يأمرُ الناسَ بعبادتِهِ، وكانَ لديه ساحرٌ عجوزٌ يقومُ بأعمالِ السحرِ؛ لكي يتسلّى ويلهوَ ويغفلَ عن ذكرِ اللهِ وعن عبادتِه.

وذاتَ مرةٍ جاءَه الساحرُ..

الساحرُ العجوزُ:

الساحرُ: أيُّها الملكُ الكريمُ لقد جئتُكَ في حاجةٍ.

الملكُ: نعم أيُّها الساحرُ الخَدومُ لقد خدَمْتَنا عدةَ سنينٍ ولكَ علينا حقٌّ فما هي حاجتُك؟

الساحرُ: أنا رجلٌ عجوزٌ وقد بلغتُ من العمرِ سنينَ وليسَ في المملكةِ أحدٌ سوايَ يعلمُ فنَّ السحرِ الذي تعلمتُهُ منذُ صغري وإني أخشى أن أموتَ ويُدفنُ هذا الفنُّ معي.

الملكُ: وأنا بحاجةٍ إلى ساحرٍ في مملكتي بعدَكَ، هلمَّ علِّمْ أحدَ رجالي السحرَ.

الساحرُ: عذراً أيُّها الملكُ العظيمُ، إن هذا الفنَّ يجبُ أَنْ يُعلَّمَ منذ الصغرِ، لذلك أنا أقترحُ أن تُرسِلَ رجالَكَ ليبحثوا في المدينةِ عن أذكى غلامٍ، ويأتوني بهِ لكي أعلّمَه السحرَ.

الأبُ: وهكذا بحثَ رجالُ الملكِ في المدينةِ عن أذكى غلامٍ وأتوا به إلى الساحرِ الذي بدأَ بتعليمِه السحرَ.



الساحرُ: حسناً أيُّها الغلامُ لقد انتهينا اليومَ من الدرسِ. لا تتأخَّرْ غداً صباحاً.

الغلامُ: نَعمْ أيُّها المعلمُ.

الغلامُ والراهبُ

الأب: وفي الطريقِ إلى البيتِ التقى الغلامُ براهبٍ عابدٍ.

إبراهيم: ما معنى راهبٍ يا أبي؟

الأب: الراهبُ هو الرجلُ الذي فضَّلَ العلمَ الإلهي وعبادةَ اللهِ على اللهوِ والجهلِ والمعاصي، وذلك كانَ قبلَ مبعثِ النبي ﷺ. وليسَ كلّ من سُمّيَ راهباً هو براهبٍ حقيقي.

فاطمة: أنا أحبُّ أَنْ أكونَ مثلَ هذا الراهبَ أتعلّمُ وأعبدُ اللهَ وأبتعدُ عن اللهوِ والمعاصي.

إبراهيم: أكمِلْ القصةَ يا أبي.

الأب: فقال له الراهبُ..



الراهب: أيُّها الغلامُ.

الغلام: نَعمْ أيُّها السيّدُ.

الراهب: إني أرى فيكَ علاماتِ الإيمانِ، فهل قَدِمتَ إليَّ لأعلِّمَك مِنْ علمِ اللهِ الجليلِ، لكي تُصبحَ عالِماً عابداً لله؟

الغلام: نعم، ولكنني أتعلَّمُ السحرَ عند ساحرِ المَلِك، وإذا علِمَ سوف يعاقبُني.

الراهب: كلما تقضي من الدرسِ عند الساحر مرّ بي لكي أُعَلِّمكَ ولكي نعبُدَ اللهَ سوياً، فإذا خشيتَه قُلْ إنَّ أهلي سببُ تأخيري عنكَ، وإذا خشيتَ أَهلكَ قُلْ إن الساحرَ أخّرني.

الأب: وبعد فترةٍ من الزمنِ..

الغلام: إن الساحرَ يعلِّمُني أسرارًا عظيمةً، وإنَّ الراهبَ يعلّمني كيفَ أعبدُ اللهَ؟ فأيّهما يا ترى أفضلُ عند الله.



الدابةُ المفترسةُ:

الأب: ومرّ الغلامُ في المدينةِ بأناسٍ يَهرعون ذعراً.

الناس: آه.. النجدةُ.

الأب: لقد ظهرَتْ دابةٌ مفترسةٌ أخذَتْ تهاجمُ الناسَ مِنْ حولِها والناسُ تفرُّ خائفةً. فجاءَ الغلامُ..

الغلامُ: اليوم أعلَمُ أيُّهما أفضلُ الساحرُ أم الراهبُ؟

الأب: فأخذَ الغلامُ حجراً من الأرض وقالَ:

الغلام: اللهمَّ إنْ كانَ أمرُ الراهبِ أَحبَّ إليكَ من الساحرِ فاقتُلْ الدابةَ.

الناس: انظروا إلى هذا الغلامِ لقد قتلَ الدابةَ المفترسةَ.

الناس: لا بُدَّ أَنَّ عنده سراً.

الغلام: الحمدُ لله إنَّ أمرَ الراهبِ أحبُّ إلى اللهِ من الساحرِ، سأذهبُ إليه لأبشرَه.

الأبُ: وهكذا ذاعَ صيتُ الغلامِ في المدينةِ بأنَّ شأنه عظيمٌ.



الغلام: أيُّها الراهبُ لقد دعوتُ فقلت اللهمَّ إنْ كانَ أمرُ الراهبِ أحبُّ إليكَ مِنَ الساحرِ فاقتلْ الدابةَ فقتلتُ الدابةَ.

الراهب: يا بنيَّ إنَّ اللهَ يحبُّك وأنتَ أفضلُ مني وإنك ستُبتلى، فإذا أُبتليتَ فلا تدلَّ عليَّ أحداً.

الأب: وأخذَ المرضى يذهبون إلى الغلامِ لكي يدعوَ اللهَ لهم بالشفاءِ فيشفون.

الناس: إشْفِنَا أيُّها الغلام.

الغلام: اللهُ هو الذي يُشفي، آمنوا باللهِ ولا تعبُدوا الملكَ فإذا آمنتُم باللهِ فهو وحدَه الذي يشفيكم.

المرضى: نؤمِنُ باللهِ رَبّنا وربِّك.



جليسُ الملك

الأب: وهكذا آمنَ كثيرٌ من الناسِ باللهِ وكانَ الغلامُ يداوي الناسَ مِنْ عدةِ أمراضٍ، فسمعَ جليسُ الملكِ الذي كانَ أعمى بخبرِ الغلامِ فذهبَ إليه، حاملاً معه هدايا كثيرةً.

جليسُ الملكِ: كلُّ هذهِ الهدايا لكَ إنْ أنتَ شفيتَني من العمى.

الغلام: إني لا أُشفي أحداً، إنَّما اللهُ هو الذي يُشفي، فإن أَنْتَ آمنتَ باللهِ تعالى دعوتُ اللهَ فيشفيَك.

جليسُ الملكِ: إذا كانَ اللهُ هو الشافي فإنَّه أحقُّ بالعبادةِ مِنْ سواهُ، آمنتُ باللهِ.

الغلامُ: اللهمَّ اشفهِ إنْ كانَ مؤمناً.

جليسُ الملكِ: آه لقد أبصرتُ، لقد شفاني اللهُ. الحمدُ للهِ.

الملك: أنتَ تُبْصرُ الآن، من ردَّ إليك بصرَك؟

جليسُ الملكِ: ربّي.

الملكُ: أَوَلَكَ ربٌّ غيري؟

جليسُ الملكِ: ربِّي وربُّك اللهُ سبحانَه وتعالى.

الملك: أيُّها الحرسُ، خذوُه وعذّبوه، أريدُ أَنْ أعلمَ من رَدَّ إليه بصرَه.

الأبُ: وبعد أَنْ عُذِّبَ الرجلُ، دَلَّ على الغلامِ.



الملكُ الطاغية

الملك: إيتوني بهذا الغلامِ الساحرِ.

الأب: فجيءَ بالغلامِ..

الملكُ: أيُّها الغلامُ لقد علَّمناكَ السحرَ فأخذْتَ تَشفي بِهِ النّاسَ حتى آمنوا بإلهٍ غيري.

الغلام: أنا لا أُشفي أحداً. اللهُ هو الذي يُشفيهم.

الملكُ: لَئنْ لم تنتهِ لأعذِّبنَّك.

الغلام: إنما ربّي اللهُ لا أُشرِكُ بعبادتِهِ أحداً.

الملك: خذوهُ وعذّبوهُ، أريدُ أن أعلمَ من علَّمَه هذا الكلامَ.

الأب: فقاموا بتعذيبِ الغلامِ حتى دلَّ على الراهبِ. فأَتوا بهِ إلى الملكِ.

الملك: ارجِعْ عن دينِك أيُّها الراهبُ، ولا تعبُدْ إلهاً غيري.

الراهب: لا أعبدُ إلا اللهَ .

الملك: قطّعوه بالمناشيرِ إنْ لم يتراجَعْ عن دينِهِ.

الأب: وهكذا قتلوا الراهبَ وقتلوا جليسَ الملكِ وقتلوا الكثيرَ ممّن آمنوا، ودعا الملكُ بالغلامِ..



الملك: أيُّها الفتى إن لم ترتدعْ سأقتُلُكَ.

الغلام: اللهُ ينجّيني.

الملك: أيُّها الحرسُ أَلْقوا بهِ من فوقِ الجبلِ إنْ لم يتراجعْ عن دينِهِ.

الأب: فأخذَ الحرسُ الغلامَ إلى قمةِ الجبلِ.

الغلام: اللهمَّ اكفني شرَّ هؤلاءِ بما شئتَ.

الأب: فرجَفَ بهم الجبلُ فسقطوا وجاءَ إلى الملكِ ماشياً.

الملك: آه.. أنتَ؟! أينَ الحرسُ الذين ذهبوا معكَ؟

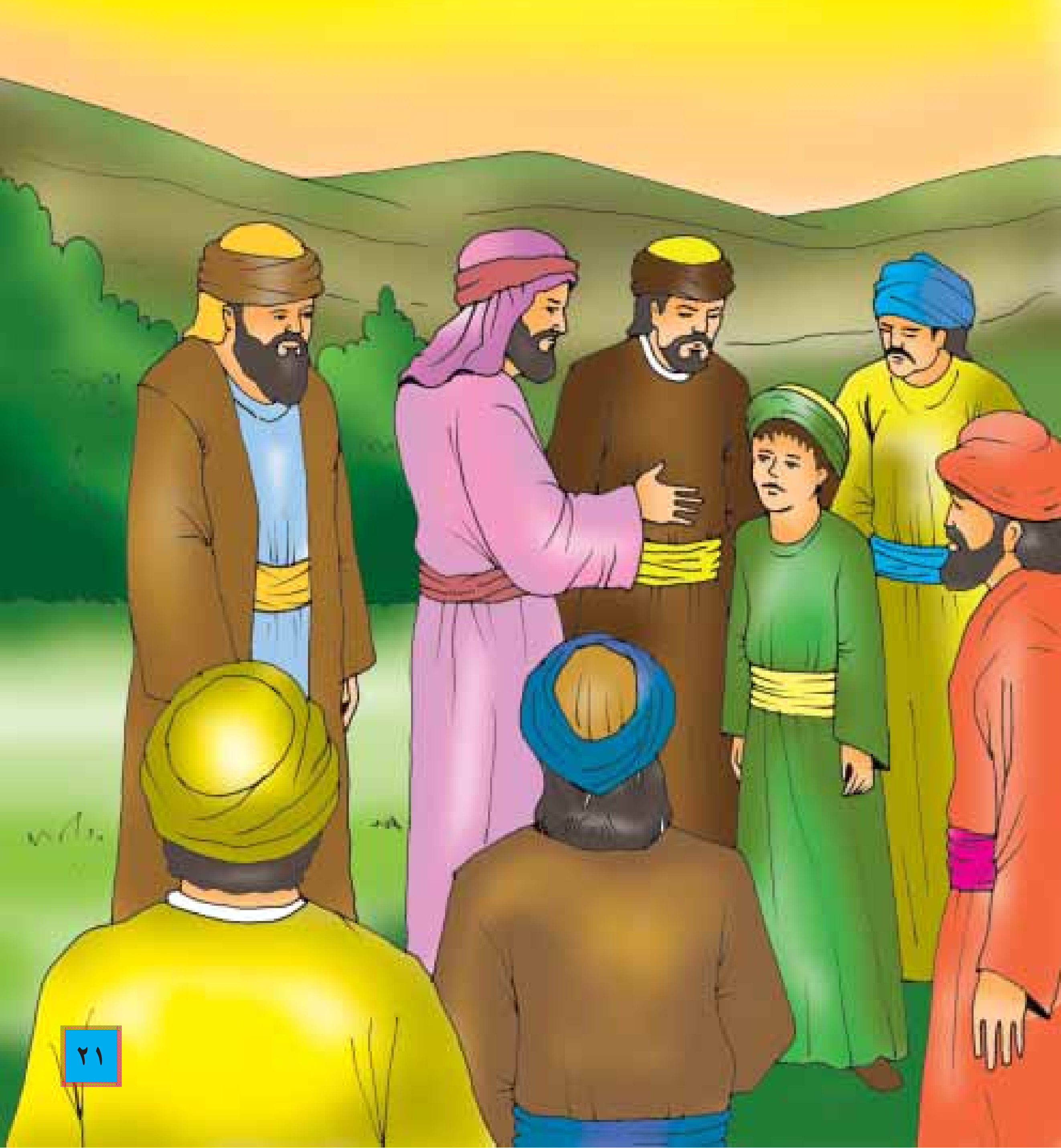
الغلام: لقد أنجاني اللهُ منهم وأسقطَ رجالَك من فوقِ الجبلِ.

الملك: أيُّها الحرسُ، ألقوا بِهِ في البحرِ.

الأب: فأخذوه لكي يُلقوه في البحرِ ولكنَّ الغلامَ دعا اللهَ لينجيَهُ.

الغلام: اللهمَّ اكفني شَرَّ هؤلاءِ الناسِ بما شئتَ.

الحرس: آه..



انتصارُ الحقِ

الأب: فـغـرِقَ الحرسُ ونجا الـغـلامُ وجـاءَ إلى الملكِ ماشياً.

الملك: أتيتَ مرةً أخرى، كيف عُدْتَ؟ أَيْنَ الرجالُ؟

الغلام: أيُّـهـا الملكُ إنْ أردتَ أن تـقـتـلَـنـي اجمعْ الـنـاسَ واصلُبْني إلى شجرةٍ وقلْ باسمِ اللهِ ربِّ الناسِ والغلامِ واقذِفْني بسهمٍ من كنانتي (جُعْبتي) عندها فقط أموتُ.

الأب: وجمعَ الملكُ النَّاسَ كلهم.

إبراهيم: مهلاً يا أبي، ولكِنْ لماذا طلبَ الغلامُ من الملكِ أن يقتلَه.

الأب: لقد أرادَ الغلامُ أن يجعلَ النَّاسَ جميعاً يؤمنون باللهِ، إنَّ هذا الملكَ كان طاغيةً وجباراً وأمرَ الناسَ بعبادتِه ونهاهم عن عبادةِ اللهِ، فأرادَ الغلامُ أن يجعلَ الملكَ يتوسّلُ باللهِ أمامَ النّاسِ جميعاً لكي يتخلّصَ مِنَ الغُلامِ، فكانَتْ هذهِ تضحيةً منه لكي ينقذَ النَّاسَ من الشِّرْك والكفرِ.



إنَّها لتضحيةٌ عظيمةٌ. وهكذا صلَبَ الملكُ الغلامَ على شجرةٍ ودعا الناسَ جميعاً، وصوَّبَ سهماً إلى صدرْ الغلامِ.

الملك: باسمِ اللهِ ربِّ الغلامِ أقتلُ الغلامَ.

الأب: وقتلَ الملكُ الغلامَ ولكنّ الناسَ أخذَتْ تؤمنُ باللهِ.

الناس: آه، آمنّا بربِ الغلامِ.

الناس: أشهدُ أَنْ لا إله إلا الله.

الملك: إنَّ الناسَ ثارَتْ ضدي.. أيُّها الحرسُ احفروا حفرةً كبيرةً وأشعِلوها ناراً واحرقوا كلَّ من آمَنَ بربِ الغلامِ.

الأب: فأتوا بامرأةٍ لكي يُلقوا بها فِي الحفرةِ الملتهبةِ، وكانت تحملُ رضيعاً صغيراً فخافَتْ، فتكلَّم الطفلُ الرضيعُ قائلاً لها...

الطفل: لا تخافِي يا أمّي إنكِ على حقٍ وسيدخلُكِ اللهُ الجنةَ جزاءَ إيمانِك.

المرأة: أشهدُ أَنْ لا إله إلا الله.



الأب: وهكذا آمنَ الناسُ باللهِ تعالى ورفضوا عبادةَ الملكِ الطاغيةِ. وأدخلَ اللهُ عبادَه الذين ضحّوا بأنفسِهم جناتِ عَدْنٍ جزاءً بما صبَروا، والذين بقوا على قيدِ الحياةِ عاشوا حياةً سعيدةً وأغناهُم اللهُ من فضله.

فاطمة: إنها قصةٌ رائعةٌ يا أبي.

إبراهيم: يمكنُنا أن نُصبحَ مثلَ الغلامِ المؤمنِ يا أبي.

الأب: طبعاً يا بُني إذا كنتَ مُطيعاً ومخلصاً لله سيجعلُك اللهُ مثلَ الغلامِ وربّما أعظمَ منه، إذا ضحيّتَ بنفسِك واستُشهدتَ في سبيلِ اللهِ من أجلِ رفعِ كلمةِ اللهِ وجَعْلِها هي العليا.



قال رسول الله (ﷺ)

«كان ملكٌ فيمن كانَ قبلكم، وكان له ساحرٌ، فلما كَبُر قال للملكِ: إني قد كبرتُ فابعث إليَّ غلاماً أعلِّمْه السحرَ. فبعثَ إليه غلاماً يعلّمُه. فكان في طريقِه - إذا سلَكَ - راهبٌ، فقعدَ إليه وسمِعَ كلامَه فأعجَبه، فكان إذا أتى الساحرَ مرَّ بالراهبِ وقعدَ إليه، فإذا أتى الساحرُ ضربَه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيتَ أهلكَ فقل: حبسني الساحرُ.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابةٍ عظيمةٍ قد حبست الناسَ، فقال: اليوم أعلم الساحرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضل. فأخذَ حجراً فقال: اللهم إن كانَ أمرُ الراهب أحبُّ إليك من أمر الساحرِ فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها ومضى الناسُ، فأتى الراهبُ فأخبرَه.

فقال له الراهب: أيْ بني، أنتَ اليوم أفضلُ مني، قد بلغَ من أمرِك ما أرى، وإنك ستُبتلى، فإن ابتليت فلا تدلَّ علي. وكان الغلامُ يبرئ الأكمهَ والأبرصَ، ويداوي الناسَ من سائر الأدواءِ. فسمع جليسٌ للملك كان قد عَميَ فأتاهُ بهدايا كثيرةٍ، فقال: ما ههنا لك أجمعُ إنْ أَنْتَ شفيتَني.

فقال: إني لا أشفي أحداً، فإنما يشفي اللهُ تعالى، فإنْ آمنتَ بالله - تعالى - دعوتُ الله فشفاكَ. فآمنَ بالله - تعالى - فشفاهُ اللهُ، فأتى الملكَ فجلسَ إليه كما كان يجلسُ. فقال له الملك: من ردَّ عليكَ بصرَك؟ قال: ربّي. قال: ولكَ ربٌّ غيري؟ قال: ربّي وربك اللهُ.

فأخذَه فلم يزَلْ يعذّبُه حتى دلَّ على الغلام، فجيءَ بالغلام. فقال له الملكُ: أي بُنيَّ، قد بلَغ من سحرك ما تبرئُ الأكمهَ والأبرصَ وتفعلُ وتفعلُ. فقالَ: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي اللهُ. فأخذَه فلم يزلْ يعذّبْه حتى دلَّ على الراهبِ، فجيء بالراهب فقيلَ له: ارجع عن دينِك. فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقعَ شقّاه، ثم جِيءَ بجليسِ الملكِ فقيل له: ارجع عن دينِك. فوضع المنشارَ في مفرق رأسه فشقه به حتى وقعَ شقاه ثم جِيء بالغلامِ، فقيل له: ارجع عن دينِك. فأبى فدفعه إلى نفرٍ من أصحابِه، فقال: اذهبوا به إلى جبلِ كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروتَه، فإن رجعَ عن دينِه وإلا فاطرحوه.

فذهبوا به، فصعدوا به الجبلَ، فقال: اللهمَّ أكفنيهم بما شئتَ، فرجفَ بهم الجبلُ، فسقطوا وجاءَ يمشي إلى الملك. فقال له الملكُ: ما فعلَ أصحابُك فقال: كفانيهم اللهُ.

فدفعَه إلى نفر من أصحابِه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقورٍ، وتوسطوا به البحرَ، فإن رجع عن دينِه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقالَ: اللهمّ اكفنيهم بما شئتَ. فانكفأَتْ بهم السفينةُ فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملكُ ما فعل أصحابُك فقال كفانيهم اللهُ. فقال الملكُ: إنك لستَ بقاتلي حتى تفعلَ ما آمرُك به. قال: ما هو قال: تجمعُ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ، وتصلبُني على جذعٍ، ثم خُذْ سهماً من كنانتِي، ثم ضَع السهمَ في كبِد القوسِ، ثم قل: باسم الله ربِّ الغلام، ثم ارمِني، فإنك إذا فعلتَ ذلك قتلتَني. فجمَعَ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ وصلبَه على جذعٍ، ثم أخذَ سهماً من كنانته، ثم وضعَ السهمَ في كبد القوسِ ثم قال: باسم الله ربّ الغلام، ثم رماهُ فوقعَ السهمُ في صدغِه، فوضعَ يدَه في صدغه، فماتَ. فقال الناس: آمنا بربّ الغلام. آمنا بربِّ الغلام. آمنا بربِّ الغلام.

فأُتِيَ الملك فقيلُ له: أرأيتَ ما كنتَ تحذر، قد والله نزلَ بك حذرُك، قد آمنَ الناسُ. فأمر بالأخدودِ في أفواه السكك، فخُدَّتْ، وأضرمَ النيران، وقال: من لم يرجعْ عن دينِه فأقحموه فيها، أو قيلَ له: اقتحمْ. ففعلوا، حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌ لها، فتَقاعست أن تقعَ فيها، فقال لها الغلامُ: يا أمَّاه اصبري، فإنك على حق.

رواه مسلم (٣٠٠٥)